أمريكا في ظلال القصة القرآنية
محاولة لربط الحاضر بالماضي

الدكتور

مجيد صالح إبراهيم الكرطاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله مالك الملك الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، والصلاة والسلام على حبيبنا محمد إمام المرسلين وقدوة المنتصرين وعز المؤمنين وعلى آله وصحبه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

وبعد .. فهذا بحث ركزت أركانه لأبين أن عجلة الزمن قد لفت لفتها وان الأيام قد استدارت لتعيد نفسها راسية – فيما أظن – عند محطة الربع الأخير من دعوته ﷺ حيث امسك بعضنا بمعالم الطريق الصحيح ، وإذا ما كتب لها الوجود عند أكثرنا فإنها ستكون أول معالم بلوج فجر الانتصار وتولي زمن الاندحار ، وهي أهم إرهاصات بداية النهاية لأمريكا وانفراط عقد نظمها كما انفرط عقد الروم النظيم من قبل .

وقد بنيت موضوعاته أملاً في نفخ الحياة في الروح المعنوية للمسلم ليعيد ثقته بربه وبنفسه وبدينه ليتمكن من رأب الصدع ولم الشمل بعد أن طال انتظار بلج الصبح وتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من فجر جديد وفرج بهيج .

كما أني قمت بنظم عباراته بعد أن طردت عيني النوم الليالي العدد، تأكل قلبي الحسرات وتجول في عينيَّ العبرات من نيران الذل والآهات :

ولي فيك يا ليل آهات أرددها ... أواه لو تنفع المحزون أواه

فنظمتها لأبسط من خلالها رداء اعتذاري لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللقرآن الكريم وللأجيال القادمة .

وأخيراً : أرجو أن تحظى موضوعاته بالقبول من الله تعالى ، وبالانتفاع من القراء الكرام وأطمع أن يكتبه الله ﷻ لي صفحة جهاد باللسان في سبيله لأنه جهد المقل وغاية ما تطوله الأيدي ، وأتفاءل أن أراه نقطة بيضاء في صحائف أعمالي يوم ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾ .

مناقشة العنوان :

قد يستغرب القارئ الكريم عنوان البحث لا سيما المسلم – وحق له ذلك – لأنه من خلال تصفحه ومراجعته لآيات القرآن الكريم لا يجد اسم أمريكا فيه ، بل أن هذا المسمى يعود لمكتشف أراضي أمريكا وقد نشأ بعد نزول القرآن الكريم بعدة قرون ، ومن الحسن أن نذكر هنا ما أشار إليه بعض الكتاب من أن العرب القدامى كان لهم السبق في اكتشافها حيث يقول الأب أنستانس ماري الكرملي : إن أبناء العرب القدامى ولا سيما أولئك الذين كانوا يجاورون ثغور البحار يركبون السفن التي كانوا ينشئونها بأيديهم يتجولون بها المحيطات فوصلوا في أول أسفارهم إلى جزيرة القصدير وهي في بحر المانش وبعد ذلك عرضوا (تيار الخليج) فاتخذوه ناقلاً لهم إلى الربوع التي دعيت بعد ذلك بالمكسيك انبثوا منها إلى سائر مدن أمريكا من شمالية وجنوبية .. ولهذا نرى من الأسماء العائدة إلى الحيوان والطير أكثر مما في سائر الأنحاء الحديثة المعروضة بحيث لا يمكن أن ينكرها أحد[1] .

ومن الجدير بالذكر أن القصد من وراء هذه التسمية هو لجر أنظار المسلم إلى هدية الله إلى خلقه (القرآن الكريم) لتصفح أخباره وللعودة إلى اتخاذه مرجعية أبدية تدبر آياتها كما أمر الله عز وجل بذلك {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[2] ، لأن فيه عز المسلم ورفعته وكما أخبر الله تعالى بقوله {لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[3] حيث أن فيه كما قال ﷺ ((كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخير ما بعدكم وحكم ما بينكم))[4] وهذه الثمرات الثلاث لا يمكن جنيها إلا بتحقق مقوماتها التي بينها ﷺ بقوله ((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده))[5] .

فأي مقومات هذه ؟ وما أعظمها !! حيث بها تكشف الحجب عن المتدبرين بعد أن تنزل السكينة عليهم من الله العزيز الحكيم وتغشاهم الرحمة وتحفهم الملائكة وفوق كل ذلك يذكرهم الله فيمن عنده ، أقول : لا شك أن من ملك هذه الثمرات فقد استطاع

---

(1) له المقتطف ، من محاضرة له / ١٩٤٥ .
(2) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .
(3) سورة الأنبياء : ١٠ .
(4) أخرجه الترمذي في حديث طويل عارضه الأحوذي ٣١/١١ .
(5) صحيح مسلم : ٢٠٧٤/٤ برقم ٢٦٩٩ .

الوصول إلى ثمرة أخرى بينها ﷻ بقوله {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ}[1] ومن ملكها فقد عرف الطريق ومن عرف الطريق فقد أدلج ومن أدلج فجدير به أن يملك الدنيا وما فيها كما ملكها أسلافنا الصالحون .

وقد يتعجل القارئ فيتساءل : وأين أمريكا في القرآن الكريم ؟ فأقول تعال معي إلى سورة الروم لنراجع اسمها ونتساءل : لماذا هذه التسمية ؟ عندها يتبين الرشد وينجلي الغطاء وقد ورد في سبب نزول مطلع السورة ما رواه ابن شهاب قال : كان المشركون يجادلون المشركين وهم بمكة قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ فيقولون : الروم يشهدون أنهم أهل الكتاب وقد غلبتهم المجوس ، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل على نبيكم ، فكيف غلب المجوس الروم وهم أهل كتاب ؟ فسنغلبهم كما غلب فارس الروم فأنزل الله الآية[2] .

والروم كلمة عند إطلاقها لا يخطر بالبال إلا تلك الإمبراطورية العظيمة التي ضربت جذور حكمها في التاريخ الماضي ، وليس في القرآن الكريم اسم إمبراطورية عظيمة تحمل اسم سورة غيرها ، وهذه الدولة كانت تمثل الديانة النصرانية ثالثة الديانات السماوية التي كتب لها البقاء مع ما فيها من تغيير وتحريف لأصولها الحقة ، وقد خلَّد الله اسمها بذكرها في القرآن الكريم ويجعلها علماً يدل على سورة من سور كتابه الخالد ، وهذا يدل على أن الديانة النصرانية ومهما تعددت واختلفت مسميات الدول التي تعتنق هذه الديانة سيكتب لها في ظل دولة عظيمة الانفراد بالعالم وعلى مر العصور لا سيما إذا ما غاب الرجال المجاهدون الحق الذين يحملون راية الإسلام الخالدة ، ولو قلبنا النصوص الشرعية لوجدنا ما يعضد الذي ذكرنا قال تعالى {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[3] .

هذا وقد تباينت وجهات نظر المفسرين في المراد بقوله تعالى {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} حيث ذكر الشوكاني رحمه الله أقوال كثيرة منهم في بحث له في معنى الآية لذلك سأكتفي بذكر مجمل ما قاله[4] .

---

(1) سورة يوسف : ١١١ .
(2) رواه ابن أبي حاتم أنظر روائع البيان لمعاني القرآن : ص ٢٤٤ – ٢٤٥ .
(3) سورة آل عمران : ٥٥ .
(4) له الفتح الرباني : ص٥٥-٥٥٣ ، وانظر مثلاً تفسير الطبري : ٢٩٠/٣ ، والبحر المحيط : ٤٩٧/٢-٤٩٨ ، تفسير ابن كثير : ٣٢٢/١ ، تفسير القرطبي : ٦٦/٤ .

كلام المفسرين قد تضمن الخلاف في ثلاثة مواطن :

١ – في تفسير الضمير الذي هو (الكاف) في اتبعوك :

- فالجمهور قالوا : انه راجع إلى عيسى عليه السلام ويشهد له ظاهر السياق فانه لا خلاف أن الضمير في قوله {مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ} لعيسى فينبغي أن يكون الضمير في المعطوف وهو {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ} مثل الضمير في المعطوف عليه .

- وقيل : أنه راجع إلى محمد ﷺ .

٢ – اختلفوا في تفسير المتبعين في قوله تعالى (اتَّبَعُوكَ) إلى أقوال :

١ / المسلمون .

٢ / النصارى .

٣ / المسلمون والنصارى .

٤ / الروم .

٥ / الحواريون .

٣ – اختلفوا في تفسير (الَّذِينَ كَفَرُوا) المذكورين في الآية :

- ذهب الجمهور إلى أنهم اليهود .

- ذهب الأقلون إلى أنهم الذين ستروا ما يعرفونه من نبوة عيسى .

- وذهب آخرون إلى أنهم الذين مكروا بعيسى .

ولا ريب أن صيغة {الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ} من صيغ العموم ، وكذلك صيغة (الذين كفروا) من صيغ العموم ، والواجب العمل بما دل عليه النظم القرآني ... وظاهره شمول كل متبع وأنه مجعول فوق كل كافر سواء أكان الإتباع بالحجة أم بالسيف أم بهما ، وفي كل الدين أو بعضه ، وفي جميع الأزمنة والأمكنة والأصول أو في بعضها فهو وأن لم يكن متبعاً لعيسى في أمر الدين ومعظمه لكنه متبع له في الصورة وفي الاسم وفي جزيئات من أجزاء الشريعة العيسوية فقد صدق عليهم أنهم متبعون له في الصورة وفي الاسم وفي شيء مما جاء به ، وان كانوا على ضلال ووبال وكفر فذلك لا يوجب خروجهم عن العموم المذكور في القرآن ، ولا يستلزم اندراجهم تحت هذا العموم ، أنهم على شيء بل

هم هالكون في الآخرة وان كانوا مجعولين فوق الذين كفروا فذلك إنما هو في هذه الدار والمراد بالكافر كل كافر سواء أكان كفره بالستر لما يعرفه من نبوة عيسى أو بالمكر به أو بمخالفة دينه ، أو بعدم التمسك بدين من الأديان قط .

ومن تدبر هذا الوجه الذي حررناه علم أنه قد أعطى التركيب القرآني ما يليق ببلاغته من بقاء عموم الموصول الأول (الذين) والموصول الثاني (الذين) وعدم التعرض لتخصيصه بما ليس بمخصص وتقييده بما ليس بمقيد وعدم الخروج عن مقتضى الظاهر في مرجع الضمائر ، وعدم ظن التعارض بين ما هو متحد الدلالة .

فالحاصل أن المجعولين فوق الذين كفروا هم أتباع عيسى قبل النبوة المحمدية وهم النصارى والحواريون ، وبعد النبوة المحمدية هم المسلمون والنصارى والحواريون[1] .

إذا اتضح هذا فان لي بعض الإيرادات أجملها بما يلي :

١ – آراء العلماء : المفسرون في (أتباع) عيسى عليه السلام يمكن أن ترجع إلى قولين هما :

أ – المسلمون

ب – النصارى ويندرج تحت هذا المسمى : الحواريون والروم لاسيما بعد اعتناقهم الديانة وكما ذكرهم القرآن .

٢ - مسألة إدخال المسلمين تحت مظلة التبعية للمسيح عليه السلام فيها نظر بعد ما تبين لنا الذين يمكن أن يطلق عليهم أتباعاً له ويعقد ما مضى المعنى اللغوي إذا ما رجعنا إلى معنى (تبع واتبع) :

أ – تَتَبَّعَ : سار في أثره[2] ، ومعنى ذلك اقتفى خطاه في سلوكه وأخلاقه واتخذه قدوة له ، قال تعالى {فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[3] وقال أيضاً : {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ}[4] .

ب – اتبع : والتي هي بيت القصيد فيما نحن بصدده فمعناها : ساروا في وراءه وتطلبه[1] أي : سلك طريقه وادعى منهجه مع مخالفته لكثير منها ، قال تعالى {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً}[2] والمسلمون لا يدعون التبعية لعيسى عليه السلام .

---

(١) ما تقدم نقل بتصرف عن الفتح الرباني للشوكاني : ٥٥٠ – ٥٥٣

(٢) المعجم الوسيط : ٨١/١ ، لسان العرب : ٢٧/٨ .

(٣) سورة إبراهيم : ٣٦ .

(٤) سورة ص : ٨٥ .

ثم أن كل من آمن برسالة محمد ﷺ يسمى مسلماً وهو من أتباعه وسيحشر يوم القيامة تحت لوائه ، فكيف يسمى من أتباع عيسى عليه السلام ؟ صحيح أن المسلمين يؤمنون بكل الرسل ومنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، لكنهم لا يسمون أتباعاً لهم بل هم من أتباع محمد ﷺ مع إن العقيدة واحدة لكن التشريع يختلف .

فان كان مراد المفسرين من تكلف إدخال المسلمين مع أتباع المسيح عليه السلام اعتماداً على بعض الآثار الواردة عن السلف هو لكيلا يحرمونه من الفوقية المذكورة في الآية فإنها {فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ} وليس فوق الذين آمنوا الموعودين من الله بالغلبة والنصر لذلك يقول الشوكاني في المقام نفسه : لكن الله قد جعل الملة الإسلامية قاهرة للملة النصرانية مستظهرة عليها وفاءً بوعده في كتابه العزيز كما في الآيات المشتملة على الأخبار بأن جنده هم الغالبون وحزبه هم المنتصرون[٣] .

وعلى ذلك فالنصارى في القرون التي تلت السيد المسيح عليه السلام والى اليوم ساروا في طريق دعوته وانتسبوا إلى ديانته ومع أنهم لم يوافقوه في كل خطوات دعوته لكنهم مع ذلك يسمون أتباعاً له لذلك تحقق فيهم وعد الله كما أخبر القرآن الكريم وكما سيظهر ذلك هذا البحث .

أما فوقيتهم الواردة في الآية فهي : إما فوقية دينية روحانية : وهي فضلهم عليهم في حسن الأخلاق وكمال الآداب والقرب من الحق والبعد من الباطل ، وإما فوقية دنيوية : وهي كونهم أصحاب السيادة عليهم[٤] ويبدو لي أن هذا الجانب هو المشار إليه بحديث المستورد القرشي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((تقوم الساعة والروم أكثر الناس))[٥] وهو ما نستشفه من مطلع سورة الروم .

إذا اتضح هذا فحقاً في زماننا هذا قد تحقق للنصارى ذلك بعدما غاب الرجال الحق الذين يحملون راية الجهاد لإعلاء راية الإسلام الخالدة وتعد أمريكا إحدى مسميات الدول التي ترفع راية النصرانية ليعيد التاريخ نفسه وهي زوم العصر الحديث الذي ذكرته النصوص وعسى أن أكون قد أصبت في تسمية عنوان البحث .

---

(١) المصدران السابقان : الإشارة نفسها .
(٢) سورة الكهف : ٦٦ .
(٣) له الفتح الرباني : ص ٥٥٣ .
(٤) البحر المحيط : ٤٩٨/٢ .
(٥) أخرجه مسلم انظر شرح النووي : ٢٢/١٨ .

ومن الجدير بالذكر أن هذه التسمية للسورة باسم (الروم) ليس تشريفاً لهم بل تنبيهاً للمسلمين وشداً عنيفاً لأنظارهم ووضعاً للمعالم في طريقهم ليتمسكوا بدينهم ويحرصوا على التعلق الجاد بأحكامه وحسن التدبير بآياته وصدق الاقتداء بنبيهم محمد ﷺ وإلا فسوف يكون التمكين في الأرض لغيرهم .

ولذلك بعد أن أخبرنا الله تعالى بالنصر على الروم في سورة الفتح ذكر في نهايتها صفات المؤمنين الذين سيكون انتصار الإسلام على أيديهم وقبل أن يولدوا بعدة قرون بعد أن حملت نصوص التوراة والإنجيل صفاتهم ، وتأمل معي في النصوص :

قال تعالى : { وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً ۞ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً }[1] .

والتي أحاط الله بها : هي الفتوح التي فتحت على يد المسلمين كأرض فارس والروم وبهذا قال ابن عباس والحسن ومقاتل وابن أبي ليلى ومعنى (قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) أي أعدها الله لكم فهي كالشيء الذي قد أحيط به من جوانبه فهو محصور لا يفوت فانتم وان لم تقدروا عليها في الحال فهي محبوسة عليكم لا تفوتكم[2] .

ولكون الزمان قد استدار وعاد من جديد بأبطاله وأحداثه وكما سنرى ، لذلك فإنَّ ما وعدت به الآية آنذاك يمكن أن يتحقق فينا ، لكن ينبغي أن نعرف بأن تحقق الغلبة والنصر لنا مشروط بتوفر مواصفات الرجال الذين يستحقون ذلك ، هذه المواصفات ذكرتها التوراة والإنجيل قبل القرآن الكريم الذي نص عليها في نهاية سورة الفتح قال تعالى : { مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً }[3] .

([1]) سورة الفتح : ٢٠ – ٢١ .
([2]) تفسير القرطبي : ١٨٤/١٦ .
([3]) سورة الفتح : ٢٩ .

وتعال يا أخي معي لنطوف في بعض أرجاء معاني الآية إذ يقول المفسرون بأن المراد بـ(وَالَّذِينَ مَعَهُ) جميع المؤمنين[1] أي الصحابة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ ومن تبعهم من القرون اللاحقة بهم إلى يومنا هذا ممن صفاتهم أنهم (أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ) أي غلاظ عليهم كالأسد على فريسته (رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) أي يرحم بعضهم بعضاً ومتعاطفون متوادون[2] فهم قد تأصلت في نفوسهم صفتان متناقضتان هما الرحمة للمؤمنين والشدة والغلظة على الكافرين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وهم ذلك (تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً) كناية عن كثرة صلاتهم (يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً) يطلبون الجنة ورضاء الله تعالى (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ) حيث لاحت علامات التهجد بالليل وإمارات السهر على وجوههم وقد بشَّرهم قدوتهم رسول الله ﷺ برواية جابر رضي الله عنه انه قال : ((من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار)[3] وقال ابن عباس ومجاهد : السيما في الدنيا هو السمت الحسن ، وعن مجاهد أيضاً : هو الخشوع والتواضع ، وقد سأل منصور مجاهداً عن قوله تعالى (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم) هو أثر يكون بين عيني الرجل؟ قال لا ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة العنز وهو أقسى قلباً من الحجارة ، ولكنه نور في وجوههم من الخشوع[4] وهذه صفاتهم في التوراة .

أما صفتهم في الإنجيل فهي (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) فهم مثل الزرع يخرج فراخه وأولاده ، وقال الفراء : انه السنبل فيخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان ، يعني أنهم يكونون قليلاً ثم يزدادون ويكثرون (فَآزَرَهُ) أي : قوَّاه وأعانه وشده ، ثم في المؤازرة يتحقق (فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ) أي على عوده الذي يقوم عليه فيكون ساقاً له وهو ما (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ) أي يعجب أهل الزرع زراعه[5] لأنه كما كثرت أغصان الزرع واستغلظت واستولت على ما حولها من الزرع أعجبت الناس لأنهم أي المسلمين كانوا قليلاً فكثروا وضعفاء فقووا فلذلك اغتاط الكفار وامتلأت قلوبهم حقداً وحسداً في حين (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

---

(1) تفسير القرطبي : ١٩٣/١٦ .
(2) تفسير القرطبي : ١٩٣/١٦ .
(3) انظر أطراف الحديث النبوي الشريف : ٥٢١/٨، القرطبي : الإشارة السابقة .
(4) انظر ما تقدم من تفسير القرطبي : ١٩٣/١٦ .
(5) تفسير القرطبي : ١٩٣/١٦-١٩٤ .

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) ، والآيات عموماً تصور أخلاقهم ووحدة الصف الذي تماسكت لبناته فيهم .

نصرانية الأمس ونصرانية اليوم:

يبدو لي أن السبب الكامن في تمكين الله ﷻ للنصارى في الأرض دون اليهود والمشركين هو الموصفات الأخلاقية التي يتصفون بها حيث كانت سبباً لتغلبهم على من سواهم وهذه الصفات هي التي بينها الله تعالى بقوله: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ}[1] .

وقد نزلت هذه الآيات في النجاشي ومن معه حين دعا مهاجري الحبشة من المسلمين ومعهم جعفر بن أبي طالب ﷺ وأرسل إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم ثم أمر جعفراً أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فقاموا تفيض أعينهم من الدمع[2] وأما معنى قوله تعالى : (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) : أي اجعلنا مع امة محمد ﷺ الذين يشهدون بالحق أو الذين يشهدون بتصديق نبيك وكتابك[3] فالمواصفات التي يتمتعون بها كما نصت عليها الآية هي :

١ – قولهم (إِنَّا نَصَارَى) استجابة لنداء المسيح عليه السلام الذي أخبرنا به القرآن: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}[4] .

---

(1) سورة المائدة : ٨٢ – ٨٤ .
(2) تفسير القرطبي : ١٦٥/٦ – ١٦٧ .
(3) تفسير القرطبي : ١٦٥/٦ – ١٦٧ .
(4) سورة الصف : ١٤ .

ولا يخفى أن أتباع المسيح عليه السلام اليوم لا يحبذون تسميتهم نصارى ويبدو أن هذا من معالم التغلغل اليهودي في فكرهم لأن هذه التسمية تطلق على الذين آمنوا بالمسيح من بني إسرائيل فقط دون غيرهم ولأنها تذكر أتباع المسيح اليوم باستقلال شخصيتهم وهذا تشريف لهم ، علماً بأن اليهود لا يريدون استقلال النصارى عنهم بل يريدونهم تبعاً لهم وأذناباً يوجهونهم كما يشاؤون لذلك وجوههم إلى رفض هذه التسمية .

٢ – لأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ، وأصل القسيسين من قسَّ إذا تتبع الشيء فطلبه ، ويطلق على رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم ، وأما كلمة الرهبان فهي جمع راهب ، من رَهيبَ الله يرهبه ، أي خافه رهباً ، والرهبانية التعبد في صومعة ، (وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) عن الانقياد إلى الحق ، كما وأنهم متواضعون عند مخالطتهم الناس[١] .

فمن حبسه نفسه لعبادة الله في صومعة أو غيرها فإن ذلك يروضه على الانقياد إلى الحق ويجعله متواضعاً نازلاً إلى مستوى الناس ولو راجعنا التاريخ لتبين لنا ذلك واضحاً مع مقابلة هرقل لأبي سفيان وسنذكر هنا جانباً منها : فقال هرقل للترجمان : قل له سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب فلذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا فقلت لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا ، قلت فلو كان من آبائه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشراف الناس أتبعوه أم ضعفاءهم ؟ فذكرت أن ضعفاؤهم أتبعوه ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيزيد أحدٌ سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشة القلوب ، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت انه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدميَّ هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن انه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص اليه لتجشمت لقاؤه ، ولو كنت عنده لغسلتُ عن قدميه[٢] .

فالمتأمل في هذه القصة يرى كم كان هرقل واقعياً وباحثاً للحقيقة وكذلك متواضعاً، ولم يجره التكبر إلى إنكار الحق حتى وان كان مصدره ضعفاء النفوس لكنَّ

---

(١) تفسير القرطبي : ١٦٦/٦ – ١٦٧ .
(٢) أخرجه البخاري ، انظر إرشاد الشاري : ١٠٣/١ .

خوفه من أتباعه حال دون إسلامه ، ونفهم من خلال إعادة هرقل للأسئلة والأجوبة واعترافه بنبوته ﷺ بأنه يدعو قريش إلى الإيمان برسالته ﷺ .

٣ – إنهم إذا سمعوا ما انزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرضوا من الحق ، وهذا يدل على أنهم يمتلكون رقة قلب تجعله مستعداً لاستقبال النور الإلهي إذا خالج القلوب ، ونحن نرى في عالمنا الإسلامي كثيراً من النصارى يصرون على سماع القرآن الكريم بل ويتلذذون في سماعه لما له من السلطان على قلوبهم ، لكن يبدو أن اتخاذ أهل القرآن القرآنَ مهجوراً حال دون إسلام كثير منهم ، ويمكن القول أن هذه الأخلاقية هي السمة العامة للنصارى وهذا ما كانوا عليه إبان الدولة الرومانية أما الاستبداد النصراني اليوم بالعالم ممثلاً بأمريكا فليس كذلك بل هو أشنع وأخطر من الاستبداد الروماني النصراني في ذلك الوقت وهذا يرجع إلى أن النصارى في زمن الدولة الرومانية كانوا يتمتعون بشخصية مستقلة عن اليهود الذين حدد الله عز وجل علاقة المسلم معهم وبين لنا حقيقة أمرهم بقوله : {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا }[1] في حين أخبر الله تعالى عن النصارى كما أسلفنا بأنهم أقرب مودة للذين آمنوا .

أما في الوقت الحاضر لا سيما في الغرب فإن اليهود قد تغلغلوا في الديانة والسياسات والرجال بل في الأخلاقية النصرانية حتى جعلوهم أذناباً لهم وتبعاً مطيعين لأوامرهم .

أما تغلغلهم في الديانة فنجد نصاً في الإنجيل وأظنه من وضع الأيادي اليهودية تم وضعه قديماً وقد حان الوقف لقطف ثماره الآن مفاده وهو ينقل عن لسان المسيح عليه السلام : ((أنا لم آت لانقض الناموس ولزوال الدنيا أهون عليَّ من انقضي حرفاً من الناموس)) والناموس المقصود هنا هو التوراة وبهذا أصبح الفكر الديني المسيحي تابعاً للفكر اليهودي لأنهم بهذا قد اعتبروا الإنجيل منهجاً روحياً أما أحكام حياتهم العملية فإنهم يستمدونها من التوراة ولذلك نلاحظ أن الإنجيل يطبع جنباً إلى جنب ففي مجلد واحد مع التوراة ويطلقون على المجلد اسم (الكتاب المقدس) وهذا أيضاً من عمل اليهود .

أما من ناحية السياسة والأخلاق فإنه من المعلوم أن من صفات اليهود السيئة هي نقض العهد التي أخبر الله تعالى بقوله : {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ }[2] وقد لبس ثوب هذه الصفة النصارى ممثلة بأمريكا عند ظلمها لأفغانستان في حملتها المزعومة ضد الإرهاب حيث أكرموا ملك الأردن عند زيارته لهم بوعد مفاده أن

---

(1) سورة المائدة : ٨٢ .
(2) سورة البقرة : ١٠٠ .

العراق ليس من ضمن الدول المشمولة باعتداءاتهم ، فلما أظهر الوعد وتكلم به نبذه المسئولون في أمريكا وتبرءوا منه ، وهناك وعد آخر أسرَّه رئيس أمريكا لرئيس باكستان المسكين بأن الحرب على أفغانستان لا تدوم طويلاً فلما أظهره نبذه بوش بنفسه .

والذي يبدو لي أن الوعود أعلاه قد صدق من بلغها لكن أمريكا وبتأثير من اليهود الذين قد تغلغلوا في كل مؤسساتها قد أجبروه على التخلي عنها وبذلك تظهر جلياً المسحة اليهودية في سياستها ولا يخفى بأن المال له دوره في تسيير اتجاهات الناس في مسخ عقائدهم لأن الناس بطبعهم يحبون المال كما قال الله تعالى : {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً }[1] وان اليهود يمتلكون رؤوس أموال طائلة فهم يسيطرون على عصب الحياة الاقتصادية لا سيما في أمريكا ، لذلك فإنهم يستخدمونها لدعم أصحاب المسؤوليات في أمريكا ومنهم الذين يرشحون للرئاسة ممن يعتقد بل من تحقق نجاحه في الاختبارات التي أجريت له تحت المجهر اليهودي لضمان خدمته لهم إذا ما ترشح للمنصب ليسير على ضوء خططهم بعد أخذ المواثيق والعهود منه بل بالاحتفاظ بالمستمسكات والنقاط التي تدينه إذا انحرف عن منهجهم وبالتالي توريطه وتسقيطه في نظر المجتمع ، وتأمل معي ما جاء في البروتوكول الثامن من بروتوكولات حكماء بني صهيون : لا يتيسر إسناد المناصب الرئيسة في الحكومة إلى أخواننا اليهود لذلك فإننا سنسند المناصب المهمة إلى أناس من ذوي السمعة السيئة حتى تنشأ بينهم وبين الشعب هوة سحيقة ، أو إلى أناس يمكن محاكمتهم والزج بهم في السجون إذا ما حالوا دون تنفيذ أوامرنا ، والغرض من هذا هو إرغامهم على الدفاع عن مصالحنا حتى النفس الأخير .

الحقيقة الغيبية وعظمة القرآن الكريم :

لو نظر أحدنا اليوم في واقعه لوجد نفسه محاط بجدارين يحجبانه : أحدهما يحول بينه وبين الماضي بما كان فيه من رجال وأحداث إلا ما أوصله الرواة إلينا نقلاً لم نرَ مشاهده ، والأخير يحول بينه وبين المستقبل الذي لم تقع أحداثه بعد ، ولا يخفى أن هذين الجدارين لا وجود لهما عند الله تعالى فهو يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن .

وهناك واقع ثالث للإنسان بعد الماضي وقبل المستقبل ألا وهو الحاضر حيث نعلم منه أموراً ويغيب عنا الكثير منها .

ومعلوم أن من وجوه الحجاز القرآن الكريم هو إخباره بوقائع غيبية سواء أكانت من غيب الماضي كأحوال الأمم السالفة وأخبار الرسل وغيرها مما كان جدار الماضي قد أسدل ستاره دونها حتى كشفها القرآن الكريم ، أم كانت من غيب الحاضر كأحوال

([1]) سورة الفجر : ٢٠ .

المنافقين والملائكة ومسجد ضرار وغيرها ، أم كانت من غيب المستقبل الذي لم يقع بعد ومن ذلك إخباره بانتصار الروم على الفرس ، وهذه الحقيقة الغيبية في حينها هي التي نريد تسليط الضوء عليها وقد وردتنا بعدة روايات اخترنا منها رواية ينار بن مكرم الأسلمي قال : لما نزلت ((الم{١} غُلِبَتِ الرُّومُ{٢} فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ{٣} فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ{٤}))[١] فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية ظاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب وذلك قول الله تعالى : {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[٢] فكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة (الم ...) قال ناس من قريش لأبي بكر : خذلك بيننا وبينكم زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك ؟ قال بلى ، قال وذلك قبل تحريم الرهان ، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لأبي بكر كم نجعل ؟ البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين ؟ فسمِّ بيننا وبينك وسطاً تنتهي إليه ، قال فسموا بينهم ست سنين ، قال فمضت السنون الست قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر ، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين ، قال لأن الله تعالى قال (فِي بِضْعِ سِنِينَ) قال : وأسلم عند ذاك ناس كثير[٣] وهناك روايات تقول أن الرهان كان خمس قلائص ، وقيل ثلاث قلائص[٤] ، أي ثلاث من الإبل .

وهنا نسجل من خلال القصة والحدث ثلاث نقاط هي :

١ – أن تحقق النبوءة الصادقة في وقوع المعركة ، ومن ثم تحقق انتصار الروم على الفرس تتجلى فيه مصداقية كون القرآن الكريم ليس من إبداع البشر وحبكه وإنما هو {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[٥] .

٢ – إن إيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه الصادق بأن القرآن الكريم من عند الله عز وجل هو الذي جعله يراهن وهو واثق بغلبة الروم على الفرس في حين أن هرقل نفسه لو دعي

---

(١) سورة الروم : ١ – ٤ .
(٢) سورة الروم : ٤ – ٥ .
(٣) أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح حسن غريب ، انظر عارضة الأحوذي : ١٢/٧١-٧٢ .
(٤) أنظر الآثار في تفسير القرطبي : ١٤/٤ .
(٥) سورة هود : ١ .

إلى مثل هذه المراهنة لرفض ولو كان الرهان عصفوراً لأنه يشك آنذاك في عدم انتصاره .

٣ – أما النقطة الثالثة فهي ذلك الترابط الوثيق بين الشرك والكفر في كل مكان وزمان أمام دعوة التوحيد والإيمان ، ومع أن الدول قديماً لم تكن شديدة الاتصال والأمم لم تكن وثيقة الارتباط كما هو الشأن في عصرنا الحاضر مع هذا فإن المشركين في مكة كانوا يحسون أن انتصار المشركين في أي مكان على أهل الكتاب هو انتصار لهم ، وكان المسلمون يحسون أن هناك ما يربطهم بأهل الكتاب وكان يسوءهم أن ينتصر المشركون في أي مكان[١] .

إذا اتضح هذا فإن خطر ببالك أخي القارئ هذا السؤال : كيف تم الانتصار ؟ فهذا ما سنجيب عنه في الصفحات الآتية :

طرفا المعركة (الماضي الذي يعيد نفسه) :

مما لا يختلف عليه اثنان أن دولة فارس كانت وثنية المعتقد يقدس ملوكها وعامتها النار ، وفيها ديانتان رئيستان هما الزرادشتية والمزدكية التي تنص على إباحة الأموال والنساء لهذا كله انهارت عندهم كل المعاني العقدية والأخلاقية ، ثم أن هذه الإمبراطورية كتب الله تعالى انهيارها بسبب خيانة أبنائها التي حمل لوائها قائدا الجيش (فرخان وشهر براز) وكما ستخبرك الصفحات القابلة بالتفاصيل .

ويمكن القول بأن الفارسية الإباحية تشبه إلى حدٍ ما الشيوعية الاشتراكية المادية الممثلة بالاتحاد السوفيتي في زماننا ، فهو يحمل لواء المادية الاتحادية الإباحية ، كما وقد حمل لواء الخيانة التي كانت سبباً في انهيار رئيسها السابق (غوربا تشوف) عندما قام بتسليم مفاتيح مواطن قوة بلاده لأمريكا ، ويمكن أن يضاف إلى سبب الخيانة سبب آخر هو الأمثلة الجهادية الرائعة التي سطرها المجاهدون الأفغان عند احتلال روسيا لهم .

أما الروم فهم دولة نصرانية الديانة استعمارية السياسة تقوم على أساس اضطهاد الناس وظلمهم وقهرهم وقد مكن الله ﷻ لها في الأرض حتى استفردت بالعالم احتلالاً ونهباً لثروات الناس وأرزاقهم ومقدراتهم بعد إذلالهم وإهانتهم ، ويدل على كون الروم دولة استعمارية واقع الحال في زمانهم[٢] ، وكذلك قوله تعالى:{ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} أي في الشام[٣] فلم يسكت القرآن عن مكان المعركة كما لم ينص على أن

---

(١) في ظلال القرآن : سيد قطب : ٢٧٥٧/٥ .
(٢) انظر تاريخ الحضارات العام : ١٠٨/٢ .
(٣) تفسير القرطبي : ٥/١٤ .

المعركة قد وقعت في بلادهم فهذا يدل على أنها وقعت في غير بلادهم بعد أن استولوا عليها بالقوة مستعمرين .

ويمكن القول بأن إمبراطورية الروم الاستعمارية النصرانية تشبه إلى حدٍ ما أمريكا الاستعمارية الرأسمالية في زماننا بعد أن تحققت النبوءة القرآنية مرة أخرى في القرن العشرين لصالحها فانفردت بالعالم مستفيدة من خيانة غوربا تشوف فغلبت الاتحاد السوفيتي وجعلته تابعاً لها بل راضخاً لسياستها .

وفي ذلك الزمان بقيت فارس والروم على تلك الحال بزغ نور الإسلام الذي سطع على جميع أرجاء المعمورة عند ذلك داست خيول المجاهدين على تيجان الإمبراطوريتين فانهارت فارس إلى الأبد لكنها أنابت عنها في هذا الزمان (روسيا) ، وبقي للروم بقية أعادوا أنفسهم تمثلهم (أمريكا) في الوقت الحاضر بعدما تقاصرت همم جند محمد ﷺ عن الجهاد وركنوا إلى الدنيا ، فيا ترى متى ستدوس دبابات المجاهدين على تيجان الإمبراطوريتين تتقدمهم أصوات التكبير وراية لا إله إلا الله ؟؟؟ .

حال الطرفين وكيف أنجز الله وعده للروم :

يجب على المسلم أن يؤمن بأن عظمة الله لا تدانيها قوة ولا يحدها حدٌ ولا يعجزها شيء ، فإرادته غالبة وهذا ما ينص الله تعالى عليه حيث أنه بعد إخباره بانتصار الروم قال : {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ} ففي هذه الجملة المعترضة في مساق الخبر والمسارعة في برد الأمر كله لله تعالى في هذا الحادث وفي سواه ، وتقرير هذهِ الحقيقة الكلية لتكون ميزان الموقف وميزان كل موقف ، فالنصر والهزيمة وظهور الدول ودثورها وضعفها وقوتها شأنه شأن سائر ما يقع في هذا الكون من أحداث ومن أحوال مرده كله إلى الله يصرفه كيف شاء وفق حكمته ووفق مراده[1] .

ولكي تظهر لنا البشارة القرآنية الربانية لا بد من تسليط الضوء على ما كان عليه الروم آنذاك حيث تشير الكتب التاريخية بأن كسرى ملك فارس قد بلغ درجة من السلطان لم يبلغها غيره ، حيث قام بغزو الروم من جهات عدة إذ لم تجد جيوشه صعوبة في الاستيلاء على دارا وأميرا والرها من بلاد تركيا وكذلك حلب ودمشق في السنوات (٦٠٥م – ٦١٣م) اتجهوا نحو فلسطين فدخلوا أورشليم في سنة ٦١٤م فقتلوا (٩٠٠٠٠) من المسيحيين وأحرقوا كثيراً من كنائسها ومن بينها كنيسة الضريح المقدس وأخذوا الصليب الحق وهو أعز أثر عند المسيحيين إلى بلاد فارس ، ثم في سنة ٦١٦م استولوا على الإسكندرية من بلاد مصر ، وفي هذه الأثناء كان جيش فارسي آخر يجتاح آسيا

([1]) في ظلال القرآن : سيد قطب : ٢٧٥٧/٥ .

الصغرى واستولى على خلقيدون في سنة ٦١٧م[١] ، ثم بعد ذلك دارت معركة عظيمة بينهم وبين الروم وهي التي قصها علينا القرآن الكريم وحدد موضعها (فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) وقد اختلف العلماء في تحديد هذا الموضع واليك أقوالهم :

قال عكرمة : (باذرعات) وهي ما بين بلاد العرب والشام ، **وقال مجاهد :** بالجزيرة ، وهو موضع بين العراق والشام ، **وقال مقاتل :** بالأردن وفلسطين ، **في حين فصَّل ابن عطية فقال :** فإن كانت الواقعة (باذرعات) فهي من أدنى الأرض بالقياس إلى مكة وهي التي ذكرها امرؤ القيس في قوله :

تنورتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها نظر عالِ

وان كانت الواقعة بالجزيرة فهي أدنى بالقياس إلى أرض كسرى ، وان كانت بالأردن فهي أدنى إلى أرض الروم[٢] .

ويبدو أن المقصود هو أذرعات الأردن حيث يشير العلم الحديث إلى أن هذا المكان (أي موقع المعركة) هو أخفض منطقة في الأرض عن مستوى سطح البحر بأكثر من ٤٠٠م وهذا هو المقصود بقوله تعالى : (أَدْنَى الْأَرْضِ) .

وعلى كل حال فان الفرس قد انتصروا فيها على الروم وجاء الركبان بالخبر إلى مكة ففرح كفار قريش لأن الفرس وثنيون وحزن فيها المسلمون لأن الروم أهل كتاب عند ذلك أطَّلع الله عز وجل على قلوب الطرفين فشاءت حكمته خرق جدار الزمن المستقبل ليطلعنا على ما سيكون فأنزل آيات يبشر فيها بانتصار الروم على الفرس وذلك في غضون بضع سنين ، علماً بأن الروم في ذلك الوقت لم يكن باقياً لإمبراطوريتهم إلا عدد قليل من الثغور الآسيوية وقليل من أرض إيطاليا وأفريقية وبلاد اليونان وعاصمة محاصرة جنَّ جنونها من الرعب واليأس[٣] .

في هذه الأثناء دقت أجراس الغيب لتقول بأن مالك الملك أعلن بأنه قد آن الأوان لتغيير الحال وتحقيق ما وعد به ليؤتي الملك والانفراد بالعالم للروم بعد نزعه من الفرس وتأمل معي في نقطة البداية .

عن عكرمة قال : لما ظهرت فارس على الروم جلس فرَّخان يثرب فقال لأصحابه لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى فبلغت كسرى ، فكتب إلى شهر براز : إذا أتاك كتابي فابعث إلَيَّ برأس فرخان ، فكتب إليه : أيها الملك إنك لن تجد مثل فرخان

---

(١) قصة الحضارة : ديورانت : ٢٩٥/١٢ .
(٢) تفسير القرطبي : ٥/١٤ .
(٣) قصة الحضارة : ٢٥٦/١٢ .

أن له نكاية وصوتاً في العدو فلا تفعل ، فكتب إليه : إن في رجال فارس خلفاً منه فعجل عليَّ برأسه ، فراجعه فغضب كسرى فلم يجبه وبعث بريداً إلى أهل فارس : أني قد نزعت عنكم شهر براز واستعملت عليكم فرخان ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة وقال : إذا ولي فرخان الملك وانقاد له أخوه فأعطه هذه الصحيفة فلما قرأ شهر براز الكتاب قال سمعاً وطاعة ونزل عن سرسه وجلس فرخان ودفع الصحيفة إليه فقال : ائتوني بشهر براز ليضرب عنفه فقال لا تعجل حتى أكتب وصيتي قال نعم ، فدعا بالسفط فأعطاه ثلاث صحائف وقال : كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد ، فردَّ الملك إلى أخيه وكتب شهر براز إلى قيصر ملك الروم : أن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني ، ولا تلقني إلا في خمسين رومياً ألقاك في خمسين فارسياً ، فاقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق وخاف أن يكون قد مكر به ، حتى أتاه عيونه : أنه ليس معه إلا خمسون رجلاً ، ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما مع كل واحد منهما سكين ، فدعوا ترجماناً بينهما ، فقال شهر براز : إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا فأراد أن أقتل أخي فأبيت ، ثم أمر أخي أن يقتلني ، فقد خلعناه جميعاً فنحن نقاتله معك ، قال : قد أصبتما ، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السرَّ بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا ، قال : أجل فقتلا الترجمان بسكينهما[1] .

عند التأمل في هذه القصة التي ذكرها بعض المؤرخين في مصنفاتهم يبدو لي أن الواقع آنذاك يعضد القول بصحتها ، ويعود السبب في عدم ذكر بعض المؤرخين لها أما إلى أنها لم تصلهم وهذا ما يدفعنا إلى منح العذر لهم ولا يقدح بصحتها ، وأما لأن أنصار الروم من الكتَّاب لا يريدون أن يقللوا (بظنهم) من عظمة انتصار الروم وكون أيديهم لم تنل هذه الثمرة إلا بمساهمةٍ خفية من الفرس أنفسهم ، كما وان أنصار الفرس لا يريدون القدح بتاريخهم ورجالهم ولذلك لم يرد ذكرها في مصنفاتهم ، ومما يعضد صحة الرواية ما يأتي:

١ – إن هذه القصة بأحداثها ورجالها لا أعتقد أن المؤرخين لا سيما المسلمين قد اتفقوا على اختلاقها من بنات أفكارهم ونسج خيالهم بل لابد وان تداولتها الألسن وتناقلتها الأخبار ومن قبل زمانهم إلى أن وصلت إليهم .

٢ – لأن النصر الذي حققه الروم على الفرس يعد من الخوارق في زمانهم وذلك للقوة العسكرية التي كان يتمتع بها الجيش الفارسي والمعنويات العالية التي ارتشفها من النصر

---

(1) تاريخ الطبري : ٤٦٩/١ ، تفسير الطبري : ١٦٥/١٠ ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي : ٣١٩/٢-٣٢٠ .

المتوالي وفي مواضع متعددة على الجيش الروماني الذي أصيب بالإحباط في ذلك الوقت وهذا ما نستشفه من مجمل الأحداث ويدل عليه الكتاب الذي أرسله ملك الفرس إلى ملك الروم الذي قال فيه : (من كسرى أعظم الآلهة وسيد الأرض كلها عبده الغبي الذليل : انك تقول أنك تعتمد على إلهك فلم إذن لم ينقذ أورشليم من يدي؟ [1] .

٣ – في هذه القصة تتجلى العظمة الإلهية أكثر مما لو كان سبب النصر التقاء الجيشين ، لأن من المعلوم أن الحرب سجال ، لكن تجلت هذه العظمة أكثر عند إرادتها أن يكون النصر عظيماً بسببه وهو تقليب الله تعالى لقلبي قائدي الفرس شهر براز وفرخان ليركنا إلى الخيانة لبدهما .

٤ – إن من يقلِّب الآيات القرآنية التي أخبرت بانتصار الروم على الفرس تقليب متفكر يجد فيها (وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ - لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ - يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) ثم بعد ذلك يختتم آيات الخبر بقوله (وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)[2] فهذه المقاطع من الآيات تدل على أن العالم آنذاك يرى استحالة تحقق انتصار الروم على الفرس لعدم تكافأ القوتين لذلك بين الله ﷻ أن ذلك النصر وعد من الله ﷻ فلا بد من تحققه في واقع الحياة ، فوعده صادر عن إرادته الطليقة وعن حكمته العميقة ، وهو قادر على تحققه[3] ، ثم أن المقطع الأخير (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)[4] ينبه على قسمي العلم في عالمي الغيب والشهادة ويشير الى أن في عالم الغيب هو أعظم وأجل وأن نصر الروم على الفرس تكمن عظمته في سببه الحقيقي وهو الخيانة وليس في سببه الظاهري المتمثل بالتقاء الجيشين وتقاتلهما وان كان هذا لابد من وقوعه في الواقع ، وبهذا تمنح الإرادة الإلهية الخلق موعظة بليغة ودرساً يوجه تفكيرهم توجيهاً صحيحاً يعلمون من خلاله أن كل شيء من أمر الخلق يقع موافقاً لما تقره تلك الإرادة وليس خارجاً وهذا الدرس شاءت الأقدار أن تجعله مقروءاً في القرآن الكريم على مر العصور لكي تستوعبه الأجيال المتعاقبة .

إذا اتضح هذا فسنعود ثانية لنكمل ما كان من شأن هرقل بعد أن هيأ الله تعالى له الأسباب التي من شأنها أن تلحق الهزيمة بالفرس حيث يبدو أن هذا الجيش الفارسي الذي يقوده فرخان وشهر براز يعد الجيش الذهبي للإمبراطورية الفارسية ، الذي تم توظيفه

---

(١) قصة الحضارة : ديورانت : ١٢/٢٩٥ .
(٢) سورة الروم : ٦-٧ .
(٣) في ظلال القرآن : ٥/٢٧٥٨ .
(٤) سورة الروم : ٥-٦ .

لمصلحة الروم عندها قام هرقل بتجهيز جيش من إمبراطوريته المهشمة ففي سنة ٦٢٢م أبحر بأسطوله في البحر الأسود ثم اخترق بلاد أرمينية وهاجم بلاد فارس من خلفها فدمَّر كلورومية مسقط رأس زرادشت ثم أجبر الفرس على الانسحاب من آسيا الصغرى ولم تمض ثلاث سنوات حتى أجبر الفرس على الجلاء من بلاد الشام ومصر ثم تقدمت الجيوش نحو قلب الإمبراطورية الفارسية حيث أنزل هزيمة ساحقة بهم في نينوى من أرض العراق ، ثم بعد ذلك لحقهم هرقل إلى المدائن عاصمة الفرس مما اضطرهم إلى عقد صلح مع هرقل حيث وافق الفرس بمقتضاه على إخلاء جميع الأراضي التي انتزعوها من الدولة الرومانية وكذلك رد صليب الصلبوت وإطلاق سراح جميع الأسرى[١] .

وبهذا أنجز الله وعده للروم (غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) فاستفردوا بالعالم وأصبح أكثر العرب تابعاً لهم ، بالضبط كما هو حالنا اليوم مع أمريكا التي استفردت بالعالم وفتح لها العرب المسلمون أبواب حدودهم فوضعت قواعدها العسكرية في بلاد المسلمين وأخذت من خلالها تهاجم المسلمين والعرب ، ومن هذه البلاد التي مسها الضر من ذلك بلدي العراق ، ولم تكتف بذلك بل يمكن القول بأنها قد احتلت منابع النفط ومصادر الطاقة تلك النعمة التي منحها الله ﷻ للعرب المسلمين والتي أصبحت اليوم مصدر دعم للعمليات العسكرية الأمريكية .

ويمكن القول بأنه كما بقيت الروم بشخصيتها الاستعمارية إلى أن جاء الإسلام ليقض مضاجعهم ويرمي عنهم تيجان تكبرهم وغطرستهم ويطردهم من الأراضي التي اغتصبوها من أهلها فكذلك الحال بالنسبة لأمريكا التي يبدو أن إرهاصات نهايتها قد لاحت في الأفق يحمل معاول هدمها المجاهدون الذين صحوا من نومهم بعد طول رقود وغفلة .

صليبية الأمس وصليبية اليوم :

عقيدة الصليب ابتدعها الزائغون عن الحق من النصارى زعماً منهم أن السيد المسيح عليه السلام قد قُتل وصُلب في حين أن الله تعالى رد زعمهم بقوله (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)[٢] ثم بعد ذلك اتخذ النصارى هذه العقيدة راية يرفعونها في حروبهم كشعار لتجميع النصارى حولهم ، وقد رفع هذه الراية هرقل في حربه ضد الفرس إذ أقبل كثير من المسيحيين على المشاركة فيها من أجل استرداد الصليب الأعظم أو صليب الصلبوت الذي استولى عليه الفرس عند غزوهم بيت المقدس[٣] .

---

(١) أوربا في العصور الوسطى : ١٢٥/١-١٢٦ ، قصة الحضارة : ٢٩٥/١٢-٢٩٦ .
(٢) سورة النساء : ١٥٧ .
(٣) أوروبا في العصور الوسطى : ١ / ١٢٦ .

ورفعت هذه الراية المشئومة أيضاً في الحروب الصليبية التي دامت قرنين من الزمان والتي استخدمت دول أوروبا كل الوسائل في سبيل هزيمة المسلمين والسيطرة على بيت المقدس ورأس هذه الحملات ملوك أوروبا ومولتها الكنيسة وتناسى الملوك أحقادهم وخصوماتهم ففرضوا على كل من لم يشأ التطوع فيها أو تعذر عليه ذلك أن يدفع عُشر مداخليه مع عُشر ثمن أملاكه المنقولة وسموا هذه الضريبة (العشور الصلاحية) وقد كان أول من لبى الدعوة ملك صقلية وليم الثاني الذي أرسل إلى طرابلس أسطولا يتألف من ستين سفينة وتتابعت بعد ذلك إمدادات الفرنجة وتطوع الجميع للقتال ، ومن لم يستطع التطوع استأجر له عوضاً أو أعطى معونة[1] .

وفي هذا الزمان ترفع راية الصليب مرة أخرى بقيادة أمريكا ففي حرب الخليج رفعها بوش الأب ونصب نفسه قائداً لمعركة الهر مجدون ولا أنسى تلك الحسرة التي ألفت بسهام آلامها في قلبي أبان تلك الحرب حيث كان الطيار الصليبي بعد أن يلقي بنيران صواريخ طائرته على الأبرياء في أرجاء بلدي الحبيب (العراق) يرسم بدخان طائرته صورة الصليب في سماء البلد الذي ابتدأ منه التاريخ وكانت فيه بغداد عاصمة الدنيا إبان الدولة العباسية .

تأمل أخي المسلم أن الغرب ورؤساء أوروبا على كثرة خلافاتهم لكنها تذوب عند حلول مادة العداء للإسلام ، بل لا تكاد تكون هناك كلمة تجمعهم وتوحد كلمتهم إلا حرب الإسلام والمسلمين فعند ذلك تراهم جميعاً .

وهذا ليس جديداً بل هو من القديم متأصل في نفوسهم لذلك يجب عليك أخي المسلم أن تعرف قدر نفسك ومعنى هويتك وهنا قد يتساءل المرء : أين مكان اليهود من الرايات الصليبية ؟

فأقول : إنهم دائماً مع الغالب حيث التفوا حول راية كورش الفارسي عندما قاتل الدولة البابلية في العراق حول راية الفرس أيضاً بجيش قوامه (٢٦,٠٠٠) مقاتل تحت راية كسرى إبان حربه للنصارى[2] وفي هذا الزمان نراهم قد التفوا خلف راية أمريكا .

ومن الجدير بالذكر أن صليبية اليوم لها مسحتها اليهودية الحاقدة غاية الحقد على الشعوب جميعاً ، وهم على أهل الإسلام أعظم لذلك ترى حروب هذا الزمان قد أُخرجت بمؤتمرات اليهود عن معانيها الأخلاقية والإنسانية ، فتراها تقتتل من ولد ومن لم يولد بعد فنراها تقتل من نفخ فيهم الروح من عباد الله الشيوخ والنساء والشباب والأطفال ، وتقتل أيضا من لم يولدوا بعد وهم الخلايا والأجنة التي أصابها التشوه بعد أن نقل لها الآباء

---

(1) مقالة كتبها قدري قلعجي ، أنظر : الإسلام تاريخ وحضارة : ص ٢١٢ .
(2) أوروبا في العصور الوسطى :١ / ١٢٦ .

والأمهات ممن كُتب لهم الحياة الداء من القنابل والصواريخ التي طُعمت باليورانيوم المنضب وغيره والذي من شأنه أن ينقل التشوه إلى الأجيال القادمة ، ويدوم مفعول ضرره في الأرض الآف السنين ، قال تعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}[1] .

النظام العالمي الجديد (العولمة) التاريخ يعيد نفسه [2] :

ظهر هذا المصطلح بعد أن استفردت أمريكا بالعالم ، وأصابها الغرور والكبرياء بالتقدم العلمي والحضاري الذي تمتلكه ، وكذلك حبها للتسلط وبسط النفوذ ، ولذلك كله قررت أن تفرض حضارتها المادية على الناس باعتبارها نموذجاً فريداً يليق بالعصر ومتطلباته ويحقق رغباتها في التسلط ، وقد أطلقت على من لم يرض بذلك لقب (إرهابي) وهذا يعني بان أمريكا قد نصبت نفسها ملكاً للعالم كله ومشرعاً وآمراً وناهياً للبشرية بكل دياناتها وعقائدها سواء أكانت مللاً مصدرها سماوي أم نحلاً مصدرها بشري ، وهذا مالا يرضيه المسلم بعد أن أكرمه الله برسالة الإسلام الخالة والصالحة لكل زمان ومكان ولكل البشرية أسودها وأبيضها حاضرها وباديها فقيرها وغنيها سيدها ومسودها ، وذلك لان النصوص الشرعية تنكر الدعوة الأمريكية هذه وتنبه المسلم من خطر الانخراط تحت ظلها لما في ذلك من الانحراف العقدي والإسهام في تمكين أعداء الله في الأرض وهذا جانب من النصوص القرآنية :

١ - قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}[3] .

٢ – قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۞ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[4] .

٣ – قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}[5] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٤ – ٢٠٥ .
(٢) أنظر الشكل (١) .
(٣) المائدة : ١٥ .
(٤) آل عمران : ١٠٠ – ١٠١ .
(٥) النساء : ٥٩ .

٤ – عندما أحلَّ الأحبار والرهبان من أهل الكتاب الحرام وحرموا الحلال وأطاعهم الناس من اليهود والنصارى كفرهم الله تعالى لأنهم اتخذوا مشرعاً غيره فقال : {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ}[١] .

ومن الجدير بالذكر أن أمريكا اتخذت من الدستور الروماني والإغريقي دستوراً ثابتاً لها ولذلك تتبع خطواتهم في أكثر أنظمتها ومن ذلك الدعوة إلى العولمة فإنها تردد وتقلد ما فعله الرومان من قبل عندما رفعوا رايات (السلم الروماني) وقد أطلقوا على من تمرد عليه ولم ينظم تحت لوائه لقب (البرابرة) ، وتعال معي أخي القارئ لنطلع على ما فعله الرومان لنقارنه بما تفعله أمريكا اليوم ليتبين لنا كم هم يقرؤون تاريخهم ويستفيدون من تجارب سابقيهم .

مبدأ السلم الروماني هذا وضعت خطواته الأولى من قبل قيصر الذي خطر له وضع خطط منهجية أوسع وأرحب قصد بها ورمى منها خدمة روما بالطبع وخدمة مصالحه الشخصية في الدرجة الأولى ، ثم جاء بعده أغسطس ليتم ذلك وليعلن مبادئ السلم الروماني ومفادها : أن الحضارة الرومانية للنموذج يجب أن يفرض . وقد أرادوا تأمين وجوده على هذا الشكل وتحقيقه في داخل الإمبراطورية وعلى حدودها الخارجية عن طريق استحالة الناس لمثل الرومانية[٢] ويرافق ذلك المراقبة والاستعداد دوماً لاستعمال القوة لصيانته من عبث العابثين ، ولم يهملوا كبيرة أو صغيرة حتى يبقى لواءه مرفوفا فوق الجميع خفاقاً في جميع الأرجاء[٣] وهكذا كلما بدا هذا السلام ناقصاً مهدداً أو في وضع المهدد فقد كانوا على استعداد لامتشاق الحسام لزرع الخوف وفرض الاحترام ، وهي سياسة لم يكن بمقدورهم انتهاج غيرها[٤] .

وهم يبتغون بذلك إحكام السيطرة على العالم علماً بان روح التسلط مغروسة في نفوسهم ويوصون بها أجيالهم ، يقول فرجيل : تذكر جيداً أيها الروماني أن عليك أن تحكم الشعوب ، هذه هي فنونك الجميلة أن تتعرف إلى حقوقك وأن تنهض بواجباتك[٥] ، ثم بعد بعد ذلك تتحقق مطامعهم الاقتصادية في العالم .

هذا وقد اتسم السلم الروماني منذُ اللحظة الأولى من إطلالته بالمتانة والمهابة بعد أن رفرف فوق رؤوس الجميع ، أما نتائجه فلم تكن آنية ولا سطحية فبمجرد أن استتب

---

(١) التوبة : ٣١ .
(٢) تاريخ الحضارات العام :٢ / ٢٧١ .
(٣) المصدر السابق : الإشارة نفسها .
(٤) تاريخ الحضارات العام : ٢ /٢٧١ .
(٥) المصدر السابق :٢ /٢٧٤ .

هذا السلام وبذل في سبيل ترسيخه ما بذل من وسائل وأساليب حتى ترك طابعه العميق في هذه المدينة التي أتاح لها الازدهار مدة قرنين من الزمن[١] .

ويبدو لي أن نظام العولمة الأمريكي الذي اتسم بالمهابة ورفرف فوق رؤوس الدول في هذا الزمان بعد أن أخذت تتبذل أمريكا في سبيل ترسيخه كل الوسائل والأساليب ، ولما علمت أن الإسلام هو عدوه الأوحد أخذت تقتل المسلمين في سبيل ترسيخه لمن يدوم طويلاً ولا سيما بعد أن بدت بوادر الصحوة الإسلامية تنمو في صفوف المسلمين وأخذوا يعرفون حقوقهم وواجباتهم الدينية وبعد أن عرفوا قدر أنفسهم ومهمتهم في الحياة ، أقول : وليعلم الذين لم يصحوا بعد أن أمريكا والغرب معها تقاتلنا على هويتنا الإسلامية وليس على حجم التمسك بإحكام الإسلام فليس أمامنا إلا الرجوع الحقيقي لديننا ، وليس ببعيد ما فُعل بالمسلمين في البوسنة والهرسك إذ لم يفرقوا بين المرأة السافرة والمحجبة ولا بين الرجل الملتزم بالإسلام وغيره ، غذ اتضح هذا فقد سلك الرومان من خلفاء أغسطس لاسيما غاليغولا وكلوديوس في سبيل ديمومة هذا النظام وإقناع الناس به ، ومن ثم قطف ثمراته ثلاث طرق :

<u>الأول :</u> التوزيع وبسخاء كلي للرعوية الرومانية التي تخول صاحبها الحصول على منافع اقتصادية عريضة وتمنحه امتيازات مادية عالية ، وقد سلكوا هذا المسلك مع أفريقا وآسيا[٢] .

والملاحظ أنهم يعطون ذلك للدول الموالية لهم في حين نجد فريقاً من الرومانيين أنفسهم يعانون من الحرمان ولا تكترث الحكومة الرومانية لهم إلا بالقدر الذي يرغمهم على احترام القانون والنظام الاجتماعي والتسليم بالوضع القائم[٣] .

<u>الثاني :</u> توسيع رقعة الإمبراطورية الخاضعة للإدارة الرومانية بما ضُم إليها من الولايات التي منها (غالباً) في آسيا الصغرى ،ومنها أيضاً مصر التي دخلت في السلم الروماني كمقاطعة من مقاطعات الإمبراطورية الرومانية – وكأن التاريخ يعيد نفسه .

ولضمان الاستقرار في هذه البلدان فقد كانت لهم حاميات عسكرية قوية مرابطة على الحدود يعولون عليها في هذه المهمة ، وباستطاعتها أن تعود أدراجها إلى الوراء إذا ما أدعت الحاجة إلى ذلك ولذلك لم يعرضوا سوى عدد ضئيل من فيالقهم تفادياً لاستعمالها[٤] وهذه الحاميات تشبه إلى حد ما أساطيل أمريكا وقواعدها العسكرية في

---

(١) تاريخ الحضارات :٢ /٢٦٩ – ٢٧٠ .
(٢) تاريخ الحضارات : ٢ /٢٧٠ .
(٣) تاريخ الحضارات : ٢ /٢٧٢ .
(٤) تاريخ الحضارات : ٢/ ٢٧٤ .

منطقة الخليج العربي وغيرها ، كما أنها في حروبها معنا لم تعرض فيالقها العسكرية بل تقتلنا ببغضنا .

ومن الجدير بالذكر أن الجيش الروماني قام باحتلال عدة مناطق كان الغرض منها تنظيم وسائل دفاع عن الإمبراطورية على نطاق إقليمي أو موضعي ضد خطر قائم أو محتمل الوقوع فكانت هذه الحروب دروساً بليغة لجيرانها المشاغبين من جهة ، ومن جهة أخرى تقوية لشبكة دفاعها على الحدود وذلك بإنشائها سلسلة حصون وقلاع تقيها هجماتها ، أو لاحتلال مراكز إستراتيجية جديدة أكثر ملائمة من القديمة فتوفر بذلك عليها بعض الفرق عن طريق حذف نتوءات بارزة أو اختصار خط الدفاع الأمامي[١] .

وما حروب أمريكا اليوم في أفغانستان إلا لهذه الأغراض مجتمعة ، وزد على ذلك أن فيها حكماً إسلاميا جهادياً لا يحقق طموحاتها ، وتخشى أن يُحتدى به فيتكرر في دول إسلامية أُخرى .

هذا وقد تمكنت الهيمنة الأمريكية في النفوس إلى حد لا تستطيع الأنظمة السياسية في العالم أن تُعلن مناصرتها لحكم طالبان وتنظيم القاعدة في أفغانستان مع أن قلوب كثير منهم معهم ، وكذلك لا يستطيع حتى خطباء المساجد ولا سيما الرسميين أن يصرحوا حتى بالدعاء لهم على المنابر وفي الصلوات .

الثالث : احتلال الأماكن الغنية : قام الرومان باحتلال بعض المناطق لأسباب اقتصادية ، فضمنوا مقاطعات طمعاً بخيراتها الوفيرة ، فقد رغب الإمبراطور كلوديوس بمناجم بريطانيا فأرسل الفيالق الرومانية فاحتلتها ، كذلك طمع الإمبراطور ترايانوس بمناجم داسيا فيمم شطرها وعبر إليها مجتازاً نهر الدانوب ، كما قام أيضا باحتلال شبه جزيرة سيناء وما وراء الأردن وأنشأ منها ولاية رومانية جديدة عرفت (بالولاية العربية) ، كما راح يحاول تقليم أظافر الفارتيين ويستخلص من أيديهم بلادها وراء النهرين وبابل ليسهل بذلك التجارة مع بلدان الشرق الأقصى التي كان يرهقها الفارتيون بفرض رسوم باهظة عليها[٢] .

ولا يفوتنا أن نعلم بان تمركز أمريكا في منطقة الخليج العربي حالياً هو للسيطرة على منابع النفط ومصادر الطاقة في بلادنا العربية والإسلامية وليس حباً لنا ولا دفاعاً عنا ، ولغرض إحكام سيطرتهم للتمكن من الوصول الى هذا الهدف فقد قامت بفرض الحصار على بعض الدول وهو ما أخبرنا به رسول الله ﷺ حيث حدد دولاً معينة سيقع الحصار عليها ومنه ما تحقق فعلاً ومنه ما ستخبرنا عنه الأيام القادمة .

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) تاريخ الحضارات :٢ /٢٧٤ .

عن أبي نضرة قال كنا عند جابر بن عبد الله فقال : يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم فقير ولا درهم قلنا : من أين ذاك؟ قال : من قبل العجم يمنعون ذاك ، ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مُدى ، قلنا : من أين ذاك؟ قال من قبل الروم ...[1] .

إذ تبين هذا فان أمريكا في حروبها مع الدول لا تسلم من الخسائر البشرية والمادية لكنها تبذل الكثير في سبيل عدم الإفصاح عنها لكيلا تتعرض لغضب شعبها وكيلا تظهر أمام العالم بمظهر قد يهشم من أبهتها ، ولذلك جعلت من شروط وقف إطلاق النار في حرب الخليج هو عدم الإعلان من قبل العراق عن خسائرها ، علماً بأنها خسرت وحدها ومن الطائرات فقط أكثر من (٧٥) طائرة ناهيك عن الخسائر المادية والبشرية .

تداعي الأمم ومعالم في دجى المسيرة :

حقاً يا حبيبي يا رسول الله لقد تحققت نبوءتك التي رواها ثوبان رضي الله عنه عنك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السبيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقدمن الله في قلوبكم الوهن ، فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت[2] .

نعم لقد أصاب الناس الوهن فأصبحوا غثاء كغثاء السيل بدلاً من أن يكونوا غيثاً يسقي الزرع ويدر الضرع ويحيي البلدان والقيعان ، أو سيلاً يروي العباد الفضيلة والخير وهو أصل مهمتهم ، وبدلاً من أن يكونوا فوق السحاب أصبحوا مع التراب غثاءً : وهو ما يحمله السيل من زبد وقذى ووسخ ، وهذا كناية عن دناءة المسلمين وحقارتهم وقلة شجاعتهم[3] وهذا الوصف هو الذي جعل الغرب اليوم يحتقرنا ويهزأ بنا .

نعم أنه الوهن الذي لو قلبنا الذكريات لرجال إسلامنا لوجدناهم قد قطعوا أوداجه من قلوبهم .

روي أن ماهان أحد قادة الروم في معركة اليرموك طلب من خالد بن الوليد ﷺ ليبرز إليه فيما بين الصفيين فيجتمعا في مصلحة لهما ، فقال ماهان : إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع فهلموا إلي أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعام وترجعوا إلى بلادكم فإذا كان من الطعام المقبل بعثنا لكم بمثلها فقال له خالد : إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت غير أنا قوم نشرب الدماء وانه بلغنا أنه لا دم

([1]) أخرجه مسلم ، أنظر شرح النووي : ١٨ / ٩٨ .
([2]) سنن أبي داود : ٣ / ١١٥ ت ٤٢٩٧ ، التابع الجامع للأصول :٥ /٣٢٧ .
([3]) انظر التاج الجامع للأصول : ٥ / ٣٢٧ .

أطيب من دم الروم فجئنا لذلك ، فقال أصحاب ماهان : هذا والله ما كنا نُحدث بـه عـن العرب[1] .

هذه بطاقة دعوة من الروم وهي محاولة يائسة منهم لإيلاج الـوهن فـي نفـوس المسلمين ، لكن خالد بن الوليد ﷺ عرف كيف يغلق ذلك الباب حيث أغلقها بمعول هـدم لمعنويات الروم الذين ظنوا أن النفوس ضعيفة لكنهم اصطدموا في جدارها المتين الـذي بني لبناية رسول الله ﷺ .

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

والمتأمل في القصة يرى أن التاريخ يعيد نفسه فهذه أمريكا تشتري زحـم النـاس ودينهم بالمال .

وقد سلك تداعي الأمم علينا في هذا الزمان أحد سبيلين :

<u>الأول :</u> التداعي العسكري : حيث هب على الأمة الإسلامية كل ذي مخلب مـن الطيور الكاسرة وكل ذي ناب من الوحوش المفترسة ، زرافـات سـابحة فـي السـماء ووحداناً سابحين في البحار يدفعهم الطمع في ثروات بلادنا من النفط والغـاز والمعـادن الأخرى تستأذن لهم بل تقتحم أبواب دولنا أمريكا ، يرمون أكل أموال اليتامى والمسـاكين الذين تجسد فيهم قول الشاعر :

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

جاءوا إلينا يسيل لعابهم دناءة وطمعاً في تلك الثروات حيث يقولـون أن الـدول الإسلامية لا تستحقها إذ يقول مساعد وزير خارجية أمريكا إبان حرب الخليج مـا نصـه (جئنا لنصحح خطأ ارتكبه الرب) فهذه جرأة على الله ﷻ (تعالى عمـا يقولـون علـواً كبيراً) فينسبون إليه الخطأ لكونه جعل بلاد العرب والمسلمين ثرية بتلك الـنعم ، فتفكـر أخي المسلم إلى أي مدى من الطغيان والكفر والحسد وصل إليه هؤلاء القوم .

([1]) البداية والنهاية :٧ / ١٣ .

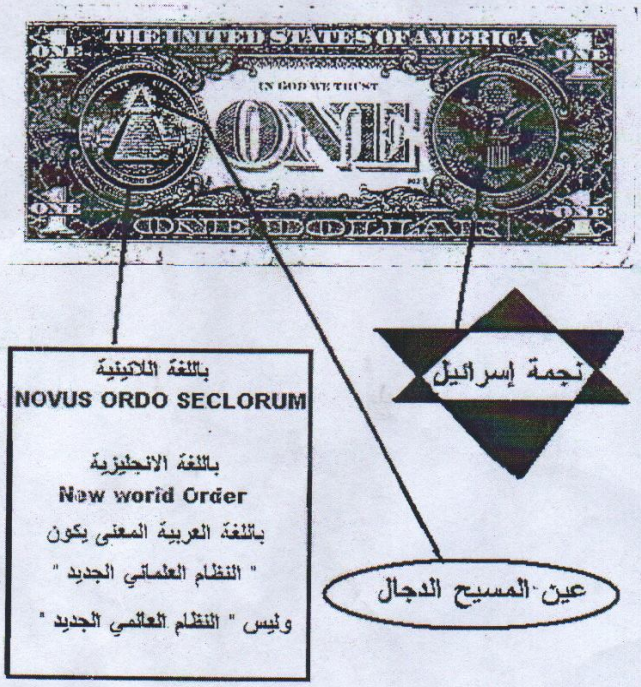

راقب عدد النجمات الصغيرة في نجمة إسرائيل = ١٣ وعدد السهام في يد النسر الأمريكي وكذلك عدد الخطوط الحمراء والبيضاء في العلم الأمريكي كلها = ١٣. وهو

الأصحاح الثالث عشر والذي يتنبأ به يوحنا (بحي) بظهور المسيح الدجال في الأنجيل ويكرر فيه بأن عدد قرون الوحش هي ١٣ قرناً

شكل رقم (1)

الثاني : التداعي الفكري : فأخذوا يلصقون بالإسلام وأهله وحضارته كل شيء يشوه بريق هذه الحضارة ولمعانها وأصالتها ومن ذلك ما قاله صاحب شبكات أفلام الدعارة في بلاده وغيرها رئيس وزراء ايطاليا (برلسكوني) بان الإسلام ومنذُ أربعة عشر قرناً يدعو إلى التخلف ، ومع أنه يصدق فيه قول الشاعر :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بانني كامل

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً ... لأصبح الصخر مثقالاً بدينار

ولا يفوتك أخي القارئ أن تعلم بان هذه الإشاعات ليست جديدة بل بدأت منذُ زمنه ﷺ والى اليوم نبهنا الله تعالى بقوله : {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا}[1] وهذا الخطاب عام للنبي ﷺ وأمته والمعنى : لتُخبرن ولتمتحن في أموالكم بالمصائب وفي الأنفس بالموت والأمراض وفقد الأحباب وبدأ بذكر الأموال لكثرة المصائب بها[2] فالآية تنبه المسلم على التداعي الغربي بنوعيه العسكري والفكري .

وقد ذكر الزهري أن هذه الآية في كعب بن الأشراف وكان شاعراً يهجو النبي ﷺ وأصحابه ويؤلب عليه كفار قريش ويُشبب بنساء المسلمين حتى بعث اليه رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة فقتله[3] .

وعلى كل حال فان الآية تبين أن التشويه الفكري والحضاري وكذلك الإشاعات الكاذبة هي أحد أنواع الحروب اللسانية التي يشنها المشركون والذين أوتوا الكتاب على الإسلام والمسلمين قبل تداعيهم وأثناء ذلك .

---

(1) آل عمران : ١٨٦.
(2) القرطبي : ٤ /١٩٣ .
(3) المصدر السابق : الإشارة نفسها .

معالم في دجى المسيرة

سأستغل هذا البحث لأضع بعض المعالم التي أراها هامة في طريق المسلم ، وسألوح عليها بنقاط :

١ – صراعنا مع أمريكا : أمريكا دولة مادية استعمارية وهذا ما نراه من خلال تعاملها وسياستها مع دول العالم ، فنراها تشتري ذمم الناس لكسب مواقفهم خدمةً لمصالحها ، حيث تقوم بإسقاط الديون عن هذه الدولة تبعاً لموقفها ، وترفع الحصار عن الأخرى لضمان تأييدها ، وترسل المعونات لتلك لغلق أفواهها ، وتقطع عمن تسميهم (إرهاب) كل أموالهم وتجمد كل أرصدتهم وتجارتهم لكي تخيف الناس من خلالهم ، بل تعدى ذلك إلى ما هو أشنع عندما أخذت تعطي الغذاء والسلاح للمعارضة في الشمال لتدفع بهم نحو إخوانهم المسلمين من بني جلدتهم وأبناء وطنهم في الجنوب وترى هؤلاء يتنادون معجبين لتنفيذ الأمر لاهثين خلف سراب اعتلاء منصة الحكم وهم لا يدرون بأنهم يطاردون خيط سراب ، وقد يتحقق لهم ذلك فعلاً لكنه يستحيل أن ترفع وصمة عار الخيانة لله ولرسوله وللمؤمنين ولبلادهم من جبينهم ولو حاولوا غسله فيما بعد بماء زمزم دعوى الحكم بكتاب الله تعالى .

وإذا كان هذا هو اتجاه السياسة الأمريكية فإنها تريد أن يصطبغ العالم كله بهذه الصيغة ويترك دينه ومبادئه لأنهم يعلمون أن دولتهم بهذا التصور والتوجه لا يمكن أن تهدأ أركانها إلا على يد أصحاب التوجه الإسلامي الصحيح المتمسكين بالعقيدة بإخلاص .

وقد شخص أولو الرشد فيها ذلك ، ولذلك نراها تساعد في قمع كل الحركات الإسلامية ، وهذا التشخيص ذاته قد ذكره هرقل ملك الروم في أنطاكية عندما قدمت اليه جيوشه المنهزمة فقال لهم : ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً ؟ قالوا : بلى : قال : فانتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن ، قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتبينا صفوف بينهم ، ومن اجل إنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغتصب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض ، فقال : أنت صدقتني[١] .

ويقول هرقل في موطن آخر : ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد وأنهم لأقبل لأحد بهم فأطيعوني وصالحوهم[٢] .

---

(١) البداية والنهاية : ٧ / ١٩ – ٢٠ .
(٢) المصدر السابق :٧ /٨ .

٢ – أمريكا تقاتلنا برجالنا وأموالنا : جعل المسلمون اليوم دينهم شعارات مجردة يرددونها وتقاليد اجتماعية يظهرون التزامها وطقوساً لا توجه السلوك يؤدونها ولذلك أصبحوا كالدمى توجههم أمريكا كما تشاء وهم لا يملكون إلا تنكيس الرأس خضوعاً وطاعةً عمياء من غير أن يراجعوا أنفسهم في ماهية الأوامر وحقيقتها ، كل ذلك فسح المجال للتسلط الأمريكي وأعطاه فرصة ليسخر بعضنا على بعض فتكاً وقتلاً وتشريداً ولقد رأينا في حرب الخليج الآلاف المؤلفة من الجيوش العربية الإسلامية تتخندق بل قاتلت الجيش العراقي تحت الأوامر والتوجه والقيادة الأمريكية .

وكذلك هو الحال في أفغانستان فانظر إلى عملية غسل أدمغة الناس ، وانظر إلى كيفية استعمار عقول الرؤساء والملوك وأصحاب السمو.

ثم لنتساءل : ما الفرق بين الحال وبين الاستعمار العسكري البريطاني والفرنسي والايطالي للدول العربية والإسلامية آنذاك ؟ ولماذا استنفرت الشعوب آنذاك قواها ضدها ؟ فحملت البنادق والمعاول والعصي للقتل والطرد ، ولماذا لم تحرك اليوم ساكناً تجاه هذا النوع من الاستعمار ؟ والله تعالى يناديا : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[1] فيحثنا على النفرة وهو التنقل بسرعة من مكان الراحة والنعيم إلى ساحات الجهاد وذلك للأمر الحادث الذي وقع ، ويوبخنا على ترك الجهاد ، ويعاتبنا على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج ، ويهددنا إن استمر ذلك بالعذاب الأليم في الدنيا باستيلاء العدو وبالنار في الآخرة[2] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الحال لا يقتصر على وضع الجيوش تحت تصرف أمريكا بل إن ما تصرفه هذه الجيوش ومعهم الجنود الأمريكان والبريطانيين وغيرهم وقيادتهم من مستلزمات مهمتهم من الأكل والشرب والملبس والسلاح والعتاد والصواريخ والطائرات وكل ما يفتك بالمسلمين .

وتتقاضى أمريكا أجوره من الدول العربية من غير نقص ولا خلل ومن غير اعتراض أو استنكار من أحد .

فبعد أن يعودوا من انجاز عملهم البربري على عباد الله يقبضون الأجر عاجلاً غير آجل ، يشفون غليلهم ثم يكرمون على ذلك ، أنها مسرحية يقوم بدور البطولة فيها

---

(١) سورة التوبة : ٣٨ – ٣٩ .
(٢) تفسير القرطبي : ٨ / ٩٠ – ٩١ .

الحكام العرب الذين قلوبهم قلوب العجم لكن الذي غرر الناس أن ألسنتهم ألسنة العرب فيقومون بدور البطولة فيها ويقومون بتحمل نفقات هذه المسرحية فهل رأيت حمقاً أبعد غوراً من ذاك ؟

وهل رأيت هواناً أسفل من ذاك ؟ وهل رأيت أردى من ذاك ؟ .

ويبدو أن هذا الواقع المرير ليس جديداً فقد ذاق صلاح الدين الأيوبي رحمه الله شطراً منه وهذا ما نستنشقه من مقولته : (والله لقد عانيت من المسلمين أكثر مما عانيت من الصليبيين) .

أهمية الوعي للمسلم :

أبواب الحضارة الإسلامية مفتوحة على مصراعيها لكونها خالية من كل شين أو نقص أو عار لذلك لا يضيرنا تجوال من يطوف بين أفنية صروحها الجميلة ، أو بحث من يروم التنقيب في جوانبها التي حظيت بإعجاب كل المنقبين ممن ارتدوا ثوب الواقعية والصدق والأمانة والقوا عن كاهلهم ثوب الخيانة والكذب والتزوير وفي هذا المقام سأذكر ما قاله الفرنسي صاحب كتاب (تاريخ الحضارات العام) تحت عنوان (فجر الإسلام) إذ يقول : بين أوروبا الغربية الآخذة مدنيتها بالقهقرى وبين العالم الآسيوي الذي لم يستجمع فخير العقول بفتوحاته السريعة القاصمة وباتساع رقعة الإمبراطورية الجديدة التي أنشأها نحن أمام شعب كان للامس الغابر مجهول الاسم مغمور الذكر فإذا به يتحد ويتضام في بوتقة الإسلام ، هذا الدين الجديد الذي انطلق من الجزيرة العربية اكتسحت جيوشه ببضع سنوات الدولة الساسانية وهدت منها الأركان ، ورفرفت بنوده فوق الولايات التابعة للإمبراطورية البيزنطينية في آسيا وأفريقيا ... ولم تلبث جيوشه أن استولت بعد قليل على معظم إسبانيا وصقلية ، وأن تقتطع لامرٍ من الزمن يقتصر أو يطول بعض المقاطعات الواقعة في غربي أوروبا وجنوبيها ودقت جيوشه بعنف شديد أبواب الهند والصين والحبشة والسودان الغربي ، وهددت غاليا والقسطنطينية بشرٍ مستطير ، وقد تهاوت الدول أمام الدفع العربي الإسلامي كالأُكر وتدحرجت التيجان عن رؤوس الملوك كحبات سبحة انفرط عقدها النظيم ، وهذه الأديان التي سيطرت على الشعوب والأقوام الضاربة بين سيرداريا والسنغال ذابت كما يذوب الشمع أمام النار بعد أن أطل على الدنيا دين جديد وانجلى غبار الفتح وصلصلة السلاح عن إمبراطورية جديدة وليس هناك أوسع منها وعن حضارة وليس هناك أسطع منها وعن مدنية وليس هناك أروع منها ، عول عليها الغرب في تطوره الصاعد ورقية البناء بعد أن نفخ الإسلام في قسمٍ من التراث الإنساني

القديم روحاً جديدة عادت معه إليها الحياة فنبض وشعٌ وأسرى ولهذه الأسباب مجتمعة كان لابد من أن يحتل تاريخ العالم الإسلامي محلاً مرموقاً في ثقافة رجل العصر[١] .

وأعلم أخي المسلم أن حضارتك ليست باطنية تقصر فتح أبواب بعض معلوماتها على الخاصة فقط بل أن باستطاعة كل شخص أن يطلع على ما يشاء منها بلا حرج ، ولذلك يجب على كل مسلم مخلص يجهل بعض جوانب حضارته أن يتعرف عليها وليكن دقيقاً متأملاً ، لكي يمتلئ قلبه إعجاباً كما امتلأ قلب أعدائها المنصفين بعد طول تجوال بها ، وليتجنب تجشم عناء السفر ليطرق أبواب من رفعوا راية العداء لها من الحاقدين عليها وغير المنصفين ليقف ذليلاً ببابهم يروم التعرف على حضارته وبالتالي سيكون تبعياً يردد ما يحكى عليه بلا روية ولا تدقيق وشخص بهذا الوصف يسهل تسخيره من الغرب وأعداء الإسلام بمؤتمر المال ليكون معول هدم لحضارته من حيث يعلم أو لا يعلم . قال الشاعر[٢]

ومن البلية أن ترى لك صاحباً ... في صورة الرجل السميع المبصر

فطن لكل مصيبة في ماله ... وإذا يصاب بذنبه لم يشعر

وسأسجل بعض النقاط مما أراه زاداً للمسلم الواعي في هذا الزمان

أ – الصلاة بالليل : وهذه صفة الفاتحين المنتصرين ، أوصانا بها رسول الله ﷺ فقال: (عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة للاثم[٣] وقد عرف هذه الصفة أعداؤنا من قبل قال هرقل في القسطنطينية لأحد الأسرى الذي أفلت من قبل المسلمين : أخبرني عن هؤلاء القوم ، فقال : أحدثك كأنك تنظر إليهم : فرسان بالنهار ورهبان بالليل ، ما يأكلون في ذمتهم الايثمن ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه ، فقال : لئن كنت صدقتني ليرثن ما تحت قدمي هاتين[٤] وتكمن أهمية قيام الليل بان القائم يحظى بساعات الإجابة للدعاء أخبر بذلك رسول الله ﷺ بقوله : ينزل ربنا عز وجل كل ليلة سماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فاستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فاغفر له[٥] ويحظى كذلك بوسام الشرفة قال ﷺ (شرف المؤمن صلاته بالليل)[٦] .

---

(١) تاريخ الحضارات العام :٣ /١٠٩ .
(٢) تفسير القرطبي : ١٤ / ٧ .
(٣) أخرجه الترمذي : تحفة الاحوذي : ١٣ / ٦٤ – ٦٥ ، ت ٣٥٥٨ .
(٤) تاريخ الطبري : ٢ / ٤٤٥ ، البداية والنهاية : ٧ / ٦٢ .
(٥) سنن أبي داود : ١ / ٣٩٢ ، ت ٣١٢ .
(٦) جزء من حديث ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : رقم / ١٩٠٣ .

ب - التزام جماعة المسلمين : أمرنا الإسلام أن ندخل أنفسنا في حصن الجماعة المنيع لما يرجى فيها من المنافع التي لا غنى للمسلم عنها من ذلك كونها معصمه عن الضلال قال ﷺ لا تجتمع أمتي على ضلالة كما أن من ابتعد عن الجماعة فانه يصبح فريسة يسهل صيدها ، وشخصية غير متمتعة بالعصمة لا يصعب قطعها ، وفرداً لا يجد أعداء الإسلام مشقة في كسبه وتطويعه لتنفيذ مآربهم وهذا ما شخصه قدوتنا ﷺ بقوله : عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فال الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن[١] .

ج – الجهاد في سبيل الله : ويعد ذروة سنام الإسلام وهو ماضٍ إلى يوم القيامة ، قال ﷺ : ثلاث من أصل الإيمان : الكف عمن قال لا اله الا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل ، والجهاد ماضٍ منذُ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والإيمان بالأقدار[٢] كما أنه لا يستبرأ المسلم لدينه إذا تركه ، قال ﷺ من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبه من نفاق[٣] ، وقال ﷺ : من لم يغز أو لم يجهز غازياً أو يختلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة[٤] .

وما الذي أصابنا في هذا الزمان إلا لتركنا الجهاد في سبيل الله وهو ما أخبرنا به ﷺ بقوله : إذا تباعتم بالعينة وأخذتم أذناب حتى ترجعوا إلى دينكم[٥] وتعد العمليات الاستشهادية أحد ضروب الجهاد في سبيل الله لرواية أسلم أبي عمران ، قال غزونا من المدينة نريد القسطنطينية وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والروم فلصقوا ظهورهم بحائط المدينة فحمل رجل على العدو فقال الناس : مه مه لا اله إلا الله يلقي بيديه إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب : إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه ﷺ وأظهر الإسلام قلنا : هلم نقيم في أموالنا ونصلحها فانزل الله ﷻ : {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} فاللاقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد ، قال : أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله عز وجل حتى دخل القسطنطينية[٦] .

---

(١) أخرجه الترمذي ، تحفة الاحوذي : ٩ / ٩ – ١٠ .
(٢) سنن أبي داود : ٢ / ٢٢١، ت ٢٥٣٢ .
(٣) سنن أبي داود : ٢ / ٢١٣ ، ت ٢٥٠٢ .
(٤) المصدر السابق : ٢ / ٢١٣ ، ت ٢٥٠٣ .
(٥) المصدر السابق : ٢ / ٤٨١ ، ت ٣٤٦٢ .
(٦) سنن أبي داود : ٢ / ٢١٥ – ٢١٦ ، ت ٢٥١٢ .

ومن الجدير بالذكر أن الجهاد يقسم إلى قسمين : جهاد النفس لترك محارم الله بسلاح التقوى ، وجهاد العدو بالسلاح المادي المعروف .

ولا يخفى أن الجهاد بقسميه مشقة ثمرتها النصر وهي ثمرة عظيمة وقد شاءت حكمة الله تعالى أن تنيط مفتاح النصر بمن تحقق جهاده في القسمين معاً لان الإسلام يأمر أن نأخذ بأسباب النصر المادية من إحضار السلاح والعدة للقتال ومقارعة العدو قال تعالى : {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ}[1] وهذا ما فعله ﷺ في كل معاركه ، وأمرنا كذلك أن نأخذ بالأسباب الروحية من المبادرة بالطاعات وترك المحارم عن بريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً[2] وتأمل الكتاب المرسل من عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأجناد حيث يقول : فاني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو والنهي عن ارتكاب المعاصي فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم[3] .

هذا وقد استفاد الصحابة درساً بليغاً وهو درس لنا أيضاً ، ففي غزوة حنين عندما أصابهم داء العجب والغرور الذي يُحرم صاحبه من ثمرة النصر فعلمهم الله تعالى بقوله : {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ }[4] وقد كان عدد الصحابة أكثر من عدد عدوهم هوازن فقال بعضهم : لن نغلب اليوم عن قلة ، فوكلوا إلى هذه الكلمة ، وبين الله عز وجل في هذه الآية أن الغلبة إنما تكون بنصر الله لا بالكثرة وان العجب من نواقص النصر، هذا ويُعد الدعاء من جملة سلاح التقوى قال ﷺ (الدعاء هو العبادة)[5] ، ولذلك يجب أن يتسلح به المجاهدون في ساحات الو نحى وكذلك القاعدون في بيوتهم ممن منعهم العذر عن المساهمة لا سيما في الثلث الأخير من الليل والجمعة وغيرها من الأوقات التي يُستجاب

---

(1) الأنفال : ٦٠ .
(2) صحيح مسلم : ٣ / ١٣٥٦ ، ت ١٧٣١ .
(3) الإسلام تاريخ وحضارة : ص ١٢٥ .
(4) سورة التوبة : ٢٥ – ٢٦ .
(5) أخرجه الترمذي ، عارضة الاحوذي : ١١ / ١١٠ – ١١١ ، ت ٢٩٩٦ .

فيها الدعاء ، ولذلك جعل صلاح الدين الأيوبي بدء المعركة مع الصليبين في وقت صلاة الجمعة طمعاً في دعوات المسلمين في هذا الوقت .

د – الثقة بالنصر : لا يخفى أن ثمرة النصر على الأعداء مقدارها جسيم وثمنها عظيم ومنالها عزيز ، يعيش المنتصر بنشوتها وقد يأكل من غنائمها ، وفيها تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، لكن الله جعل السُلم الذي يرتقي فيه العباد لاقتطاف هذه الثمرة هو قيامهم بنصر الله ، فمتى تحقق الشرط تحقق جوابه ، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }[1] وقال أيضاً : {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ }[2] فبعد أن بين لنا الشرط وهو نصرة دينه ونبيه بين صفاته التي تكفل تحقق جواب الشرط وهو النصر ، وهي كونه (قوياً) ومعناه القادر ومن قوي على شيء فقد قدر عليه و (العزيز) هو الممتنع الذي لا يرام[3] .

إذن فالعمل على نصرة دين الله في كل جوانب الحياة هو شرط النصر وليس مبدأ تكافؤ القوى المادية بين الجانبين لأننا مأمورون أن نُعد للحرب من القوة المستطاع قال تعالى {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ}[4] وليس أكثر ولا أرقى مما يملك عدونا ، ولذلك عندما أنزل الله عز وجل أعظم وأرقى القوى والجنود في غزوة بدر وهم الملائكة تقاتل مع المؤمنين وقص ذلك في القرآن الكريم أعقبها بتنبيه لنا مفاده أن النصر لم يكن من الملائكة بل من عند الله وتأمل معي الآية : {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}[5] .

.

وهذا ما يُطمئن قلوبنا إلى حتمية وقوع النصر للمسلمين على اليهود المدعومين من أعظم الدول في العالم وهي أمريكا ، وكما أخبرت بذلك النصوص الصحيحة ومنها : حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الفر قد فانه من شجر

---

(1) سورة محمد : ٧ .
(2) سورة الحج : ١٢ - ٤٩ .
(3) القرطبي : ١٢ - ٤٩ .
(4) الأنفال : ٩ – ١٠ .
(5) الانفال : ٦٠ .

اليهود[1] ، وحديث ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله[2] .

والذي يبدو أن اليهود اليوم قد وعوا حتمية النصر للمسلمين ولذلك اتخذوا تدابير الحيطة أملاً في تأخير موعد التقاء الجيشين وموعد النصر ، ومن هذه التدابير :

أولاً : بعد قيامهم بدراسة دقيقة لحجم تفكير المسلمين شخصوا مواطن الضعف عندهم فتعاملوا معهم بوسائل وطرق إفسادية مما أدى إلى انحراف عقائد وأخلاق وتوجهات كثير منهم عن المسار والصراط الذي أرادهم الله تعالى أن يسيروا عليه .

وفي هذا المقام أكتفي بنقل نص ما جاء في البروتوكول الثاني لحكماء بني صهيون :

أما غير اليهود فإنهم لا يستفيدون من تجارب التاريخ التي تمر بهم ولكنهم يتمسكون بنظريات روتينية دون تفكير في النتائج التي قد يُسفر عنها هذا المسلك ، لذلك فنحنُ لا نعير اليهود أية أهمية فليلهوا ما طاب لهم اللهو حتى ينقص الوقت وليعيشوا على أمل ملذات جديدة أو في ذكرى سالفة ، وليعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التي أوحينا بها إليهم ذات أهمية قصوى ، فبهذا الاعتقاد الذي تؤكده صحافتنا نزيد من ثقتهم العمياء في هذه القوانين ... يجب أن لا يكون هناك اعتقاد في أن مناهجنا كلمات جوفاء ، فنحن الذين هيأنا لنجاح دارون وماركس ونيشيه ، ولم يفتنا تقدير الآثار السيئة التي تركتها هذه النظريات في أذهان غير اليهود .

ثانياً : إيقاد نيران الحروب : لا يخفى أن السمت اليهودي وكما تشهد بذلك صفحات التاريخ يقوم على محبة إيقاد نيران الحروب بين الأمم وكذلك السعي في الأرض فساداً وقد أخبر الله تعالى بذلك فقال : {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[3] .

وهم إنما يفعلون ذلك لغرض إشغال العالم عن الانتباه إلى مفاسدهم وعدم إعطائه فرصة للتفرغ لهم وكبح جماحهم ، وبذلك تخلو لهم الدار بعد أنهاك الناس بالحروب .

وهم في هذا الوقت الحاضر يوقدون الحروب على المسلمين أو بينهم ولأسباب يقومون لحبك خيوطها لغرض إضعاف مواطن القوة عندهم ، وللإشارة إلى العالم بان المسلمين هم الذين يسعون في الأرض فساداً أي على مصطلح العصر المشؤوم

---

(1) أخرجه مسلم والترمذي ، أنظر التاج الجامع للأصول : ٥ / ٣٣٥ .
(2) أخرجه الترمذي ، عارضة الاحوذي : ٩ / ٨٨ ، ت ٢٢٤١ .
(3) سورة المائدة : ٦٤ .

(إرهابيون) وبناء على ذلك فانه يمكن القول بان التفجيرات التي وقعت في أمريكا بوزارة الدفاع (البنتاغون) ومركز التجارة العالمي لم تكن بمنأى عن علم اليهود بها هذا إن سلمت أيديهم منها ، ويعضد ذلك أن (٤٠٠٠) أربعة الآف يهودي ممن يعملون في هذه الدوائر لم يلتحقوا بعملهم في يوم الانفجار ، وكذلك الدقة المتناهية في عملية تصوير البيانات التي وقع فيها الانفجار مما يدل على أن المصور اليهودي كان ينتظر الحدث .

ثالثاً : ومما يدل على أن اليهود مؤمنون بان الهزيمة تنتظرهم هو قيامهم بتزيين شوارعهم بشتلات من شجرة الغرقد التي أخبر ﷺ بأنها تؤوي إبان انتصار المسلمين عليهم ولا تدل عليه .

ولا أدري إن كانوا عرفوا خاصية هذه الشجرة عن طريق ما ورد في كتبهم أم عن طريق ديننا وكتبنا التي طافوا بجوانبها دراسة وتأملاً أكثر مما طاف كثير من المسلمين أنفسهم بها .

ومما يجلب الأنظار أن إشارات رسول الله ﷺ في الأحاديث السابقة تنص على انتصار المسلمين في آخر الزمان على اليهود دون ذكر لغيرهم وهذا يعني أن سلطانهم سيبلغ مبلغاً يغرس الرعب والخوف في نفوس الناس ويهشم معنوياتهم ، وقد تحقق ذلك في زماننا بعد أن أصبحت الدول الكبرى ومنها أمريكا تابعة لليهود وعلى قلة عددهم وصغر مساحتهم ، وذلك لان أياديهم باتت توجه سياسة بل وجيوش هذه الدول بعد أن تغلغلوا في أعلى المستويات واخطر المسؤوليات لهذه الدول .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على رسولنا محمد الـذي أنزلت عليه الآيات ، وعلى آله وصحبه المتصفين بأجمل الصفات ، ومن تبعهم بإحسـان إلى يوم الميقات .

وبعد : فإذا رست سفينة رحلتنا في هذا البحث المتواضع إلى شـاطئ النهايـة لا يسعني بعد حمد الله تعالى إلا أن أسجل بعض النتائج التي لاحت بين ناظري أثنـاء هـذه الرحلة وكما يأتي :

١ – ظهرت حكمة الله عز وجل وعظمته جلية عندما فتح لنا نافذة من علمه الأزلي في خبـره بان معركة ستقع بين الفرس والروم في بضع سنين وسينتصر الروم فيها ، وقـد تحقـق وقوعها فعلاً كما حددها بزمنها ونتائجها موافقاً لما أخبـر ، وهـذا درس فـي الإيمـان بالقضاء والقدر الذي هو أحد أركان الإيمان .

٢ – شاءت حكمة الله تعالى أن يمنح النصارى فرصة الانفراد بالعالم ، لكن كما انـه لـم يـدم عندما تحقق في زمنه ﷺ حيث نقضته أنـوار الرسـالة الالهيـة وسـيوف المجاهـدون فيما بعد ، فكذلك في هذا الزمان ستنتقضه رايات الإسلام المحمولة من قبـل المجاهـدين الصادقين المخلصين ، وهذا ما عرفته أمريكا اليوم ولذلك تقوم بقتلهم وتشـريدهم تحـت مسمى الإرهاب والإرهابيين .

٣ – في الأمس كان النصارى يمتازون عن المشركين بالأخلاق الحسنة ورقة القلب إما اليـوم فان المسحة اليهودية ذات الأخلاق القذرة قد تركت بصماتها عليهم وهذا ما يؤذن بتعجيل النهاية .

٤ – تبين من خلال البحث أن النظام العالمي الجديد (العولمة) هو صورة مكررة عـن مبـادئ السلم الروماني فالتاريخ يعيد نفسه .

٥ – ظهر للباحث وحدة الراية قديماً وحديثاً إذ حمل الروم راية الصليبين فتوحدت كلمة الغـرب وتناسوا خلافاتهم وقاتلوا تحت ظلها ، واليوم تحملها أمريكا وقـد أجمـع الغـرب علـى الانضمام تحت ظل الراية نفسها لقتال المسلمين .

٦ – بما أن الملك لله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء فقد أثبتت التجارب للمسلمين جميعـاً أن لا نصر لهم ولا تمكين في الأرض إلا بالرجوع المخلص لدينهم ومن ثم حمل راية الجهاد وإلا سوف يطالهم القتل والتشريد وتنهب ثرواتهم وثروات بلادهم لان الغرب يقاتلنا علـى هويتنا الإسلامية وليس على حجم التمسك بالإسلام .

فهرس ومراجع

(١) القرآن الكريم .

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ، ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

(٣) الإسلام تاريخ وحضارة ، أنور الجندي – دار الاعتصام .

(٤) إطراف الحديث النبوي الشريف ، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

(٥) أوروبا في العصور الوسطى – التاريخ السياسي ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٦ – ١٩٩١م .

(٦) البحر المحيط – للإمام محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي ت ٧٤٥هـ - دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان – ط١ – ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

(٧) البداية والنهاية – لابن كثير ، ٧٧٤هـ ، دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان .

(٨) التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول ﷺ منصور علي ناصف – دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط٥ – ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

(٩) تاريخ الحضارات العام – أندريه ايمار – وجانين أويوايه – اشراف : موريس كروزيه – ترجمة : فريدا غرو فؤاد أبو ريحان – عويدات للنشر والطباعة – بيروت – لبنان .

(١٠) تاريخ الطبري – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت / ٣١٠هـ والمسمى تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل – بيروت – لبنان .

(١١) تفسير الطبري – المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لابي جعفر محمد جرير الطبري ت ٣١٠هـ - دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

(١٢) تفسير القرآن العظيم – للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي – دار المفيد – بيروت – لبنان – طبعة منقحة ، ط١ – ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .

(١٣) تفسير المراغي – أحمد مصطفى المراغي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(١٤) الجامع لأحكام القرآن – أو تفسير القرطبي : الامام أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي – ٦٧هـ الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(١٥) روائع البيان لمعاني القرآن – أيمن عبد العزيز جبر – دار الأرقم للنشر والتوزيع – الأردن – عجمان – ط١ – ١٩٩٧م .

(١٦) سنن أبي داود – للحافظ أبي داود السحستاني ، ٢٧٥هـ ، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
(١٧) شرح النووي لصحيح مسلم ، ٢٦١هـ - دار احياء التراث العربي – بيروت / لبنان .
(١٨) صحيح مسلم – للإمام أبي الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري – ٢٦١هـ
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان .
(١٩) عارضة الاحوذي بشرح الترمذي – لابن العربي المالكي – دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان .
(٢٠) في ظلال القرآن – سيد قطب – دار الشروق – ط١٦ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
(٢١) قصة الحضارة – ول وايريل ديورانت – ترجمة محمد بدران – دار الفكر – ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
(٢٢) لسان العرب – الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، ٧١١هـ - دار صادر بيروت – لبنان ، ط١ – ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
(٢٣) المعجم الوسيط ، د. إبراهيم أنيس – د. عبد الحليم منتصر عطية الصوالحي – محمد خلف الله أحمد – أشراف : حسن علي عطية – محمد شوقي أمين – المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع – تركيا – استانبول .